

نقد الربوبيين للكتاب المقدس: موقف توماس باين من العهد القديم أنموذجاً

أ.د. أحمد عبد العوايشة

محمد يوسف أغلو*

تاریخ قبول البحث: ١٤/٦/٢٠٢٠ م

تاریخ وصول البحث: ١٧/٤/٢٠٢٠ م

ملخص

يحتل نقد الكتاب المقدس في الفكر الغربي مكانة مهمة. إذ ازداد الاهتمام به مع القرن السابع عشر على يد المفكرين الغربيين، وبعد مذهب الريبوبي من أهمها. تهدف هذه الدراسة إلى بيان موقف توماس باين الريبوبي من العهد القديم خلال البحث في منهجه النقدي وتحليل استخدام نقده الأدبي ونقده التاريخي. وتوصلت الدراسة إلى أنه تابع ابن عزرا وسبينوزا في نقاده العهد القديم. وبُعتقد أنه برى كل الكتب المنزلة ليس خالية من الأخطاء. ويعتمد نقاده للوحى والتنبؤ على معتقداته خلافاً للدليل أو المرجع العلمي أحياها.

الكلمات الدالة: توماس باين، نقد الكتاب المقدس، الكنيسة، المذهب الريبوبي.

Deists Criticism of the Bible: Thomas Paine's Position on the Old Testament as a Model

Abstract

Criticism of the Bible in Western thought occupies an important place, and the interest in it increased in the seventeenth century by Western thinkers, where deists are among the most important of these thinkers. This study aims to clarify Thomas Paine's position on the Old Testament by researching his critical approach and analyzing the use of his literary and historical criticism. The study concluded that Thomas Paine followed Ibn Ezra and Spinoza in his criticism of the Old Testament. It is believed that he sees all Scriptures are not mistake-free. His criticism of revelation and prophecy is based on his beliefs, sometimes contrary to scientific evidence or reference.

Key Words: Thomas Paine, Bible Criticism, The Church, Deism.

* باحث - y.mahitup@gmail.com

** أستاذ، قسم أصول الدين، الجامعة الأردنية.

المقدمة.

الحمد لله رب العالمين، والصلوة والسلام على سيدنا محمد وعلى آله وأصحابه أجمعين، وعلى من تبعهم بإحسان إلى يوم الدين، وبعد:

فإن ظاهرة نقد الكتاب المقدس ذات قيمة في الغرب؛ حيث إن الظاهرة انتشرت مع عصر التوир وحدثت قواعده في الأوساط العلمية للغرب. ومن المعروف أن المذهب الربوبي جزء لا يتجزأ من عصر التوير. وظهر المذهب الربوبي (Deism) في القرن السابع عشر على يد هيربرت تيشر بري (1648م). ويضم تحته أسماء مختلفة، كمذهب التالية الطبيعي، التالية، الدين الطبيعي. على الرغم من الاختلافات في أسمائه فإن تعريفاته كلها تجمع على بعض أفكار محددة. حيث إن المذهب الربوبي يؤمن بوجود الله وخلق الكون، وينكر الأديان والكتب المنزلة، ويعتمد على العقل المجرد في فهم تدبير الله للكون والإنسان في مقابل الوحي. وليس من الممكن إنكار إسهامه في عصر التوير وجهوده في نقد الكتاب المقدس. وبعد الربوبي توماس باين من أهم الربوبيين في هذا الصدد. وتهدف هذه الدراسة إلى سرد الأسباب الأساسية لظهور نقد العهد القديم وتعميم ذلك على كل الكتب المنزلة وإلى قراءة نقد باين وتحليل مناهجه من خلال قراءة كتابه "عصر العقل"، ومقارنة نقاده بقواعد النقد لكتاب المقدس عند الغرب.

مشكلة الدراسة.

تحاول هذه الدراسة الإجابة عن الأسئلة الآتية:

- ما أسباب نشأة نقد الكتاب المقدس في العالم الغربي؟
- ما أهمية كتاب عصر العقل في دراسات نقد الكتاب المقدس؟
- ما موقف توماس باين من العهد القديم، ومن أي جهة رد العهد القديم؟

أهمية الدراسة.

بعد توماس باين من أهم رجال المذهب الربوبي في زمانه وحتى في يومنا الحاضر. وقد اشتغل بنقد الكتاب المقدس وأثر في من بعده. ومع ذلك فإن هذا الأمر لم ينشر على يد باين. وتركز هذه الدراسة على تأثير باين في الربوبيين وتأثره بالفكر الغربي وتهدف إلى تحديد مكانه بين نقاد الكتاب المقدس.

- بيان تاريخ نقد العهد القديم في الفكر الغربي وعند الربوبيين.
- إدراك موقف توماس باين من العهد القديم.
- تحليل ونقد أفكاره ومناهجه في نقد العهد القديم.

أهداف الدراسة.

يهدف هذا البحث لتحقيق جملة من الأهداف، يمكن جمعها في النقاط الآتية:

- تعريف أفكار توماس باين من خلال دراسة كتابه.
- معرفة أفكاره عن العهد القديم.
- تحليل آرائه في العهد القديم ونقده من جهة العقل والبحوث العلمية.

منهج البحث.

هذه الدراسة تتبع المنهج الاستقرائي والمنهج التحليلي، حيث إنها تعتمد على كتاب باين "عصر العقل" ونقده العهد الجديد وتحليل أفكاره عنه.

الدراسات السابقة.

لم نصادف بحثا علميا خاصا بهذا الموضوع خلال دراستنا. مع ذلك ثمة كثير من البحوث والدراسات مختصة ب النقد الكتاب المقدس عند الفكر الغربي والفكر الإسلامي. حيث إن أرجح إبراهيم عبد الرحمن الحوامدة ناقشت رسالة ماجستير تحت اسم "حركة نقد الكتاب المقدس في أوروبا من عصر النهضة إلى العصر الحديث وموقف الكنيسة منها" في جامعة العلوم الإسلامية العالمية. وسردت أسباب نشأة نقد العهد القديم وتأثير العلماء المسلمين في ظهور هذه الحركة وأنواع النقد، ولكن لم تذكر نقد الريوبين وكذا دور توماس باين.

خطة البحث.

تم تقسيم البحث إلى مبحثين، وذلك على النحو الآتي:

المبحث الأول: موقف باين من الوحي والنبوة.

المطلب الأول: مفهومه الجديد "الوحي الحقيقي".

المطلب الثاني: موقفه من الأنبياء.

المبحث الثاني: موقفه من العهد القديم.

المطلب الأول: نقاده الأدبي.

المطلب الثاني: نقاده التاريخي.

خاتمة: وفيها أهم نتائج البحث، والتوصيات.

التمهيد:

تعد ظاهرة نقد الكتب المقدسة من أهم الظواهر في تاريخ الأديان. ونستطيع أن نجد نفس الظاهرة لكتاب المقدس في الفكر الغربي أيضًا. لكن هذه الظاهرة لم تظهر دفعة واحدة ونجد التطور في هذه الظاهرة في القرنين السادس والسابع عشر في العالم الغربي إلى حد كبير.

ومن المفترض أن هذه الظاهرة نشأت على أيدي المسلمين وحددوا منهاج النقد وقواعده. وفي الفترة يتتصادف بين القرن الحادي عشر والقرن الثالث عشر. ومن المهم أن التوراة والإنجيل في أصلهما منزلان من الله في عقيدة المسلمين. ولذلك فالقرآن الكريم يذكر التوراة والإنجيل في كثير من المرات، والله ﷺ يأمر المؤمنين بالإيمان بهذين الكتابين. فمن الطبيعي أن يكون اهتمام المسلمين بهما كبيرا لأنهما جزءان من أصل عقيدتهم^(١).

وحدث هذا الاهتمام في وقت مبكر مع دخول النصارى في المجتمع الإسلامي. وتناول العلماء المسلمين مقارات النصارى عن الكتاب المقدس. ومن الواجب أن نذكر في هذا الصدد بعضهم مثل ابن حزم وكتابه "الفصل بين الملل والأهواء والنحل" والقرافي في "الأجوبة الفاخرة عن الأسئلة الفاجرة". ويمكن القول إن اتجاه علماء المسلمين إلى الكتاب المقدس يعد من أهم الأهداف التي ثبتت نبوة سيننا محمد^(٢). وسبب ذكر هذه الأسماء قربها من المجتمع العربي. فابن حزم عاش في الأندلس ومن المعروف أن أوروبا أخذت كثيرا من الأشياء فيما يتعلق بالسياسة والحضارة من الأندلس كما تأثروا بال المسلمين في هذا الموضوع أيضاً. ونجد أمثاله عند بعض الأشخاص الذين كانوا نصارى وبعد ذلك أسلموا. ومثال على ذلك نصر بن يحيى المتtribب والذي ألف كتابا تحت اسم "النصحية الإيمانية في فضيحة الملة النصرانية". وقد نقد الكتاب المقدس وتطرق إلى التناقضات فيه^(٣).

وعلى الرغم من هذه الاتجاهات بين النصارى واليهود أصبحت مؤثرة هذه الأشكال محدودة. ولكن إن التطورات الدينية والعلمية غيرت وجهة نظر النصارى وأوروبا بشكل عام إلى الكتاب المقدس. ففي القرن السابع عشر عاش المجتمع العربي تغيرات جذرية في الفلسفة والفكر على يد بيكون وديكارت. وترسخت فكرة الشك في معظم أذهان المفكرين وتوافقت قوة الإنسان في الحصول على المعلومات عن الكنيسة أو المصادر الإلهية. وعلاوة على ذلك فإن مكان الإله تراجع في المجتمع الأوروبي وبدأ الإنسان يثق بنفسه أكثر مما سبق^(٤). والجدير بالذكر أن سبينوزا كان رجلاً استثنائياً في ذلك الوقت. حيث إنه يعد من أوائل من حددوا أسس نقد العهد القديم. والذي اعتمد في نقاده على التاريخ. واقتصر بعض المبادئ في النقد واقتصرها على ثلاثة. فال الأول إيقان العبرانية والثاني المعرفة في ما وراء تدوين متن العهد القديم والثالث وصول المتن إلينا بلغته الأصلية.^(٥) ومن المهم أنه ركز على ما رکز ابن حزم في نقاده. والجدير بالذكر أن بابن اتبعهما أحياناً وضرب نفس الأمثل كثيراً من المرات. فقد تطرق إلى أخطاء الحسابات الرياضية في العهد القديم ويرى من المستحيل أن يكون بشوش كاتب سفر بشوش وبعض الأخطاء في تسمية المدن التي سردت في العهد القديم^(٦).

مع كل هذا ظهرت أهم حركة نقد في تاريخ الغرب مع عصر النهضة وعصر التنوير. يحتوي اللذان ضمنهما كثيراً من الأسس والأشكال والمناهج. والمقصود بالأسس المشاكل في تدوين الكتاب المقدس وتقنيته وفي لغاته. وأشكال نقد الكتاب

المقدس تتأتى من النقد الأعلى، حيث إنه يتناول المراجع الأولية والأصلية لكتاب المقدس والنقد الأدنى؛ إذ إنه يجمع في نفسه كل الطرق التي تُستخدم في نقد الكتاب المقدس وتحليله^(٧). وأما المناهج أو الطرق فيندرج تحتها النقد الأدبي والنقد التاريخي والنقد العلمي. والنقد الأدبي يرتكز على المفردات المتعددة والأسلوب في إفادة غرضه والتباين بالمقارنة بين النصوص القديمة لكتاب المقدس من جهة الأدب^(٨). والنقد التاريخي يهتم بإظهار حقيقة الحوادث التي سُردت في الكتاب المقدس. والذي يكتثر لظروف المجتمع في وقت حادث ما وعلاوة على ذلك يستفيد من الأركيولوجي والاكتشافات العلمية^(٩). والذي ينقسم إلى قسمين أساسين هما: النقد الخارجي والنقد الداخلي. فإن النقد الخارجي يركز على الوثائق والنصوص ويسمى بأسماء مختلفة أيضاً نقد التحصيل ونقد الصحة وينقسم إلى نقد التصحيح ونقد المصدر. والنقد الداخلي أو النقد الصدق يهتم بمضمون النصوص ومحتها. ويندرج قسمان تحت هذا النقد هما: نقد التفسير ونقد الدقة والأمانة^(١٠). والجدير بالذكر أن هذا المنهج يُطبق على العهد القديم أحياناً لأنه يحتوي عدة مسائل تاريخية وبينها وقت طويل^(١١). وأما النقد العلمي فيشتغل بمناسبة التطورات العلمية بينها وبين الأشياء فيما تتعلق بالعلم في الكتاب المقدس والتاقضيات العلمية بينهما، مثل "خلق العالم ومراحله"، "ظهور الإنسان على الأرض" و"رواية الطوفان"^(١٢).

أما المذهب الريوبي فيعد من أهم حركات نقد الكتاب المقدس في الغرب. والريوبي توماس باين ألف كتاباً تحت اسم "عصر العقل" حيث يُعد من أهم المؤلفات عند المذهب الريوبي. وبالرجوع إلى مضمون الكتاب نجد أنه عبارة عن عبارات قسمين. فقد كتب الجزء الأول في سنة ١٧٩٤ في باريس ولكنه لم يكمل كتابه؛ لأنّه عاش كثيراً من المشاكل السياسية ومكث في السجن لمدة وكافح مرضًا خطيراً، على الرغم من هذا فقد أكمل الجزء الثاني في سنة ١٧٩٥ م^(١٣). إن الجزء الأول يشتمل على بيان اعتقاد المؤلف في الدين وهدف تأليف الكتاب وأفكار توماس باين عن عدة مسائل مثل: "شخصية عيسى عليه السلام"، "الأنس المسيحية"، "مقارنة النصرانية مع الدين الطبيعي"، "الوحى الحقيقي". وأما الجزء الثاني في الكتاب فمنحصر في تحليله العهد القديم والعهد الجديد.

المبحث الأول:

موقف باين من الوحي والتبوه.

إن مسألة الوحي والتبوه من أهم المسائل التي يتطرق المذهب الريوبي إليها، والجدير بالذكر نقد الريوبين لهما تغير مع الزمان. فقد نقد مؤسس المذهب الريوبي هربرت تشير بري (١٦٤٨) الوحي والتبوه بهدف إزالة الخرافات من النصرانية^(١٤). ومن أجل ذلك فهو ينظر إلى الكتاب المقدس وعيسى عليه السلام نظرة احترام، وتوقف ذلك مع باين. حيث تتحول هذا الحال إلى هجمات شديدة على كل الأديان. ويمكن القول: إن باين يحتل مكانة عالية في الأهمية عند الريوبين وخاصة عند المذهب الريوبي المعاصر، لأنّنا لا نصادف بعد باين رجلاً مثل هربرت الذي ينظر إلى النصرانية بإجلال. ومن ما سبق ندرك هنا أن آراء المذهب الريوبي المعاصر حول الأديان مع موقف باين من الوحي والتبوه لا يتنماشى مع نظره هربرت، ويرى توماس أن كل دين أو مؤسسة دينية أنشئت من طرف شخصيات تعتقد أن لديها واجباً خاصاً، وهذا ما

ينطبق على موسى عليه السلام عند اليهود وعيسى عليه السلام عند النصارى ومحمد صلى الله عليه وسلم عند المسلمين. وهذا يعني أنه لا يوجد طريق إلى الله من غيرهم. وكل منهم لديه كتاب منزل من الله ومع ذلك فإن كلاً منهم يكفر بمعتقد الآخر^(١٥). وبعد تمهيد قصير فقد تناول كلمة الوحي، ويقول: إن الوحي شيء يطبق على الدين يعني ما أرسله الله إلى الناس مباشرة.

والجدير بالذكر أن بعض الربوبيين (Deists) يهاجمون مفهوم الوحي من كل حدب وصوب، حيث إنهم يحللونه من جهة اللغة وكيف جرى في الكتب المقدسة^(١٦). وتوماس باين واحد منهم. ونستطيع أن نرى أنه يتناول مفهوم الوحي بشكل غير معتمد. وبينما يقبل وجود الوحي كمفهوم إلا أنه يقول: إن الوحي الحقيقي يعرف بالكون. وليس من الممكن تغيير هذا الوحي-الكون - من طرف آخر. مثل لغات الناس؛ لأنها محلية ومتغيرة. وعلاوة على ذلك يمكننا القول: إن باين يرى أن لغات الناس محلية ومتغيرة دائمًا. وعلاوة على ذلك فإن هذه اللغات لا تعد علم اليقين عند كل الناس وعليه فإنه لا يستطيع أن يفهم أن الله قد أرسل رسولاً بكتاب ولغة معينة والذي يكون مرشدًا ومبشراً لكل البشر. ويرى أن من يؤمن بهذه الفكرة جاهل لا يعلم حدود العالم أبداً. وهو يعتقد أن اللغة ليست آلة واحدة للوصول إلى الهدف. والترجمة من لغة إلى اللغات الأخرى لا تكون سليمة من جهة المعنى واللفظ. ولذلك فأصلح لغة في العالم موجودة وهي الكون في نظره. ومن الممكن أن يفهم كل الناس هذه اللغة بسهولة. وهذه اللغة متعددة وعالمية تتكلم مع الناس بلغات مختلفة. إضافة إلى ذلك لا أحد يستطيع أن يزيفها، ومع ذلك يستطيع أن يقرأها كل الناس ويفهموها، وهذا اللغة تادي الناس في كل أرجاء العالم. ومن أجل ذلك يجب على الناس الاتباع والاستماع لها. وبذلك يدرك الإنسان الإله^(١٧).

نستطيع أن نرى في أفكار توماس باين وجهة نظر ثابتة؛ لأنه يعتقد أن الوحي محدود دائمًا في أمر إرشاد الناس؛ لأنه يعتقد باين لو قبلنا أنه على الحق لكن واجباً على من يتأمل في الكون أن يدرك الإله ويؤمن به، ومع ذلك ليس من الممكن القول: إن باين على حق في فكره؛ لأنه ليس واقع في العالم. وأنه يرى أن الترجمة من لغة إلى لغة أخرى تقضي المعنى الأصلي. يعني أن الترجمة لا تستطيع عكس المعنى تماماً. غني عن البيان بعض الأشياء في اللغة مثل البلاغة لن تفهم بسهولة. ومع ذلك نحن نرى من يبحر في اللغة وهو ليس صاحب اللغة أصلًا يفهمها ويتراجمها. ولكن المهم أن كثيراً من الأشياء في اللغة من الممكن أن تترجم إلى اللغات الأخرى. ولو ما كان هكذا كيف تتعامل الشعوب بعضها مع بعض. وحتى المسائل العقدية تفهم باللغة الأخرى بسهولة؛ لأنه إذا كانت عقيدة سلية تكون لغتها واضحة ومفهومة عند الناس. مثال على ذلك أننا نترجم معنى الآية «**قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ**»[الإخلاص: ١] إلى أي لغة يفهم الناس مضمون هذه الآية. والجدير بالذكر أننا نعتقد أن الكون من آيات الله، ولكن لا جدال أن كل من يفكر الكون ويتأمل فيه لا يؤمن بالله. ولذا يمكن القول إن الإنسان يفتقر إلى الوحي أيضًا.

إن الربوبيين يعتقدون أن الله قادر على كل شيء^(١٨)، لذا هو يرسل إلى من يشاء، مع ذلك هذا الوحي وحي خاص لمن هو مرسل إليه، الوحي محدود بالشخص الأول، وليس من الممكن أنه يكون وحيًا من دونه، بل هو يعد من باب الإشاعة للناس الآخرين. وبعد ذكر تحليله في الوحي يقول باين: "إبني لست مجبًا على الإيمان بمن يدعى أنه مرسل إليه؛ لأن الوحي لم يرسل إلي وأنا لا أعرف حقيقته". وكل مضمون الوحي عبارة عن مبادئ أخلاقية أساسية أصلًا، ومن الممكن لإنسان عادي

يستطيع أن يدرك بعقله ولا حاجة إلى الوحي أصلًا^(١٩).

ما تقدم يتضح لنا أن بابن يحدد "مفهوم الوحي" نفسه. والذي لا يعتمد في تحليله على إسناد أو دليل علمي. علاوة على ذلك أنه بينما يؤمن بأن الله قادر على كل شيء يحدد قدرة الله تعالى كما فعل أغلب الربويين. حيث إن من يرسل الوحي إلى الناس يستطيع أن ينادي الناس برأته، ومن الممكن القول. ونحن نعتقد إذا أصبح رأيه فاسداً في الوحي من الممكن أن يكون ذا قيمة كبيرة، وكيف يريد بابن أن لا يفهم ويتعلمها، فإذا ثبت الوحي الصحيح ومن الله أيضًا كيف من الممكن أن بابن لا يعتقد به، وكل هذا يشير إلينا أن أفكار توماس ليست خالية من التناقض.

و يرى بابن أن المسلمين يعتقدون أن القرآن كتاب مرسى من الجنة عبر الملك وأنه لا يستطيع أن يؤمن به بسبب عدم رؤيته الملك مباشرةً. لأنه لم ير الملك، وهو لا يرى المعجزة في ولادة عيسى لأن هذه الحادثة تعتمد على كلام بعض الناس، ولا يوجد عليها دليل ثابت. وهو لا يعتقدها، والجدير بالذكر أنه يدعى أن اليهود الموحدين لم يؤمنوا بها أصلًا، ويرى بابن أن كل ما ذكر في العهد الجديد من باب الاعتقاد أخذت من الأساطير الميثولوجي^(٢٠).

وحين ندرس ادعاءه الأول في هذا القسم نجد أن بابن يحمل كثيراً من الأمور التي تعد من نفس الباب، ولا يعتمد بابن على ما لم يره ولكن إننا ندري كل ما هو موجود في التاريخ والذي لم نره ولكن نفترض وجوديته اعتماداً على النصوص والوثائق. على أساس بعض القواعد العلمية، علاوة على ذلك إن الربويين يضعون بعض الأسس في معتقداتهم ولكن لا نعرف من أين أخذوها، مثل الكون أقوى دليلاً بالمقارنة مع الوحي لإثبات وجود الله تعالى، أو الوحي محدود بمن يسمع أول شخص، يفهم أن كل هذا لا يعتمد على دليل علمي.

وأن بابن يتحدث عن إيمان اليهود متىًما يعتقد اليهود. حيث نرى إذا المقصود من الموحدين الذين يؤمنون بدينه هم يؤمنون بالمعجزة والوحي أصلًا؛ لأنه ظهرت كثيرة من المعجزات على يد سيدنا موسى عليه السلام. ومن الممكن إيمانهم بولادة عيسى عليه السلام دون أب.

كما أنه ينظر إلى من يؤمن بالرسل والذي يرى نفسه مرسلاً من الله إلى الناس أنه كاذب. وهو يقول إن هذا الوحي إذا أنزل عليه وليس واجب على الناس الإيمان به؛ لأن هذا خاص به فق، لأن الوحي يمكن استخدامه على يد الناس لمنفعتهم^(٢١). ونجد أنه لا يتحمل أن من يرى نفسه مرسلاً من الله إلى الناس يمكن أن يكون صادقاً بل أنه كاذب دائمًا. إذا كان عندنا شيئاً متساوياً في هذا الأمر يجب أن يكون دليلاً خارجي من أجل أن نفضل له على الآخر، ولكن هذا ليس موجوداً وإن ادعاؤه يعد ادعاء فقط. والجدير بالذكر أن أغلب الربويين يرى شخصية عيسى عليه السلام إيجابية^(٢٢). ومع ذلك يرون أن من يدعى أنه نبي كاذب، ومن المعروف أن عيسى عليه السلام أعلن أنه نبي، وهذا يجعل القارئ يخلص إلى أن أفكاره لا تخلو من التناقضات.

ويعتقد بابن أن الوحي يدرس لنا الأفكار الضالة والشاذة ولا يدرسنا الأشياء المفيدة، وأجزاء الكتاب المقدس التي تتحدث عن الأخلاق ليست من أصل الكتاب يمكننا أن نجد هذه المبادئ الأخلاقية المشتركة في كل الأديان والكتب المقدسة، وهو يضرب مثالاً في هذا الصدد حيث {إِنَّا أَنَا فَأَقُولُ لَكُمْ: لَا تُقاوِمُوا مَنْ يُسَيِّءُ إِلَيْكُمْ مَنْ لَطَمَكُمْ عَلَى حَدَّ الْأَيْمَنِ، فَحَوْلَ لَه}

الآخر» [أمتى، ٥:٣٩] ويرى بابن أن هذه العبارة تقتل صبر الإنسان وتجعله كلياً؛ لأن حب العدو ليس من الأخلاق الحقيقة، ويسرد أن المذهب الربوبي ليس هكذا، بل مفهوم الأخلاق عنده متطابق بمفهوم الأخلاق عند الله^(٢٣). والجدير بالذكر يرى بابن أن القصص التي سردت في الكتاب المقدس غير أخلاقية تماماً وتحتوي الظلم والقتل^(٢٤).

ونستطيع أن نصادف في أفكار بابن فكرة عن الأخلاق التي تعتمد على العقل تماماً، ولذلك يمكن القول إنه يفكر بالأخلاق من جهة واحدة، وهذا ليس مطابقاً للواقع؛ لأن الإنسان ليس عبارة عن الخير والفضل، ووجهة نظر بابن أن الأخلاق ليست خالية من النقصان، ومع ذلك فإننا ندرى أن الإنسان يميل إلى الشر والخير بسبب طبيعته، علاوة على ذلك فإن المذهب الربوبي يجبر على الناس اختيار بين طرفين إما أن يكون ذا أخلاق أو متدين، ولكن كيف نهمل الاحتمال حيث إن الإنسان أن يكون ذا أخلاق ومتدين في الوقت نفسه^(٢٥).

المطلب الأول: مفهومه الجديد «الوحي الحقيقي».

كما ذكرنا سابقاً أنه يعتقد بوجود الوحي أصلاً، مع ذلك فإن ما يطلقه بابن مختلف عن المعتمد ويرى أن الوحي الحقيقي هو الكون ولا أحد يستطيع أن يغير لغته، ويخاطب الله الناس بهذه اللغة، وهذه اللغة عالمية بالمقارنة مع لغات الناس؛ لأنها من الممكن تغييرها ولا تكفي لشرح العلم العالمي، ويضرب بابن المثال بسیدنا عیسی اللہ^(٢٦) في هذا الموضوع، إذ إنه مرسل بلغة القوم، ولكن في الوقت نفسه يبشر كل الناس في أرجاء العالم، ولكنه لم يستطع هذا، لأنه لم يعرف اللغات الأخرى إلا العبرانية، وكانت مئات اللغات في زمانه في العالم، ومن الممكن أن يخطر على البال أن الترجمة حل لهذه المشكلة، ولكن بابن لم يقبل هذا؛ لأن الترجمة ليست قادرة على إيصال الغاية في المعنى بسبب النقصان في طبيعتها، ويرى أن عدم وجود المطبعة في ذلك الوقت فإن مقالات عیسی اللہ^(٢٧) لم تصل إلى كل الناس. وتتجدر الإشارة إلى نقطة مهمة هي أن مثل هذه المقارنة عند بابن تعد من باب المفارقة التاريخية.

مع أن بابن لم يضرب مثلاً عن تغيير القرآن الكريم، لكنه يعتقد أن كل كتاب منزل أخذ نصيبه من التغيرات^(٢٨). ونجد أن كلامه عن الكتاب المقدس ثابت تاريخياً، ولكن حين نبحث تاريخ جمع القرآن الكريم نجد اختلافات كثيرة بينه وبين جمع التوراة والإنجيل، كما يُعرف أن القرآن الكريم كان ينزل منجماً وسیدنا محمد صلی الله علیه وسلم أوكل كتابة الوحي إلى بعض الأشخاص من أصحابه، علاوة على ذلك، حفظ كثير من الأشخاص من أصحابه القرآن الكريم، ويمكن القول: إن الاختلافات كان في الكتاب المقدس عن الوحي عند الحفاظ والكتاب تتصادف إليه عبر التاريخ، ومن الثابت أن المسلمين اهتموا بهذا الأمر في كل أجيالهم واشتغل كثير منهم بحفظ القرآن الكريم وكتابته^(٢٩).

حين نعود إلى نقده الآخر نجد تناقضات بينه وبين الواقع التاريخي؛ لأن النبي الكريم عندما أرسل إلى قومه جذب الأنظار إليه بسبب مضمون دعوته، وهذا لا ينحصر بقومه بل يمبل كثير من الناس من خارج قومه إليه، ونستطيع أن نجده عند كثير من الأنبياء عليهم الصلاة والسلام أجمعين، إذ إن نبينا كان له أصحاب من خارج وطنه، مثل سلمان الفارسي، والجدير بالذكر أن سلمان الفارسي سمع اسم نبينا محمد ﷺ خلال زيارته إلى الروم^(٣٠). وهذا يشير إلينا أن خبر

بعثة محمد ﷺ وصل إلى الروم، ربما يعتقد بابن أن الاتصال بين الدول ليس واسعاً وسريعاً في زمان الأنبياء بالمقارنة مع زمانه، ولكن نعرف أن الاتصال بين الدول من طريق التجارة خاصة كان قوياً، ولما هاجر بعض الأشخاص من أصحاب النبي ﷺ إلى الحبشة كان الملك النجاشي معروفاً عند قريش، وكان بينهما علاقة، ولذلك بعثت قريش إلى الملك النجاشي عمارة بن الوليد وعمرو بن العاص^(٣٠). والنجاشي كان يعرفهم عن كثب، وهذا يشير إلينا أن الاتصال بين الدول كان قوياً في العالم القديم، علاوة على ذلك أن أصحاب النبي وحواري عيسى عليه السلام نشروا دينهم الإسلام وتوجه الناس إليهم، وأصبح هذا الاتصال بينهم بلغتهم وتأثيرهم ليس محدوداً بهم بل أكثر مما يتوقع، علاوة على ذلك من المؤكد أن رسول الله ﷺ أرسل رسائل إلى الملوك الذين يحكمون الدول التي نقع جوار مكة والمدينة مثل الرسالة إلى النجاشي وإلى قيسار ملك الروم وكسرى ملك الفرس، وهذا يشير إلى أن كل الاتصال أصبح باللغة ودعوة رسول الله تعتمد على الوحي، إذاً إن فحوى الوحي يفهم باللغة الأخرى^(٣١).

علاوة على ذلك فإن بابن يرى أن لغة الكون لها عدة مستويات متعددة جداً. ولذلك فهي تجمع كل الأفكار والمفاهيم، وهذه اللغة لا تتغير في أي مكان، ولا حاجة إلى نشرها وطبعها، وتحاطب كل الناس، والإنسان لا يستطيع أن يعي قرءة هذه اللغة إلى أي حد تصل. وإذا أراد الإنسان أن يدرك الإله من الواجب عليه البحث في لغة الكون^(٣٢)، وحين نعود إلى كلام بابن نجد فكره ليس قوياً ولا شاملًا لكل الناس؛ لأن ليس من الممكن أن كل الناس يقدرون على فهم لغة الكون، ولذلك يمكن القول إنهم يفتقرن إلى الرسول الذي يعلمه الحقيقة، علاوة على ذلك أن لغات الإنسان مستخدمة بينهم وتطورت مع الزمان، والإنسان يشرح كل ما يفكر بلغته، وكيف من الممكن أن تكون اللغة ناقصة في هذا الحد، بالإضافة إلى ذلك كل الأدبيان السماوية تدعى الناس إلى النظر في الكون، حيث قال الله تعالى في كتابه: «سَتُرِّيهِمْ أَيَّاتِنَا فِي الْأَفَاقِ وَفِي أَنفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْقُوْلُ أَوْلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ» [فصلت: ٥٣] وأخيراً نريد أن نذكر التناقضات في كلام بابن، حيث إنه يهمل احتمال أن الكتاب المقدس كان كلام الله ولكن بعد ذلك حرف، والذي يعتقد بابن هو احتمال واحد وهو أن الكتاب المقدس قد حرف تاريخياً^(٣٣).

المطلب الثاني: موقفه من الأنبياء.

مفهوم النبوة من أبرز المسائل التي ينتقدها المذهب الريوبي؛ حيث يعتقد أن الإنسان ليس بحاجة إلى النبوة للوصول إلى الحقيقة؛ لأنه صاحب العقل والحكمة ويستطيع إدراك الحقيقة بهما. ونجد نفس الفكرة عند توماس بابن. ويرى أيضاً أن مفهوم النبوة كان يستخدم بمعنى الشعر في الكتاب المقدس ولكن مع مرور الزمان كسب معنى خاصاً، وعلاوة على ذلك يعتقد أن كلمة النبي تستخدم بمعنى عازف، ويضرب الأمثلة من الكتاب المقدس مثل: {... تصادف زمرة من الأنبياء نازلين من المرتفعة وأمامهم رباب ودب وناري وعدو لهم يتباولون} [صموئيل الأول، ١٠:٥] ويدعى بابن أن مفهوم النبي متعلق بالشعر والموسيقى في الكتاب المقدس؛ لأنه يطلق على من يخبر عن المستقبل ويتحدث عن الأشياء غير المعروفة عند الناس مثل "الكافن". ولكن بعد مرور الزمان مضمون الكافن دخل في مضمون النبي، وبالتالي فإن بابن انقاد كهانة النبي؛ حيث إنه يخبر الأخبار التي

ستحدث في وقت قريب مثل الولادة ونجاح العلاقة الزوجية أو فشلها، ولكن هذا يعني التحريم في نظر باين^(٣٤). ويؤمن باين بأن هناك نقطة مشتركة عند كل الأنبياء، إذ إنهنبي لمن يؤمن به ومعارض لمن يعارضه، ويرى التشابهات بينهم وبين السياسيين والشعراء المعاصرين، ويضرب المثال من الكتاب المقدس لنقوية رأيه حيث لما انقسم اليهود إلى قسمين أصبح النبي خاص لكل قوم، وكان يهتم كل النبي بشيء آخر حتى يقتل الأنبياء بعضهم بعضاً^(٣٥).

ويمكننا القول إنه لا يرى التناقضات في كلامه أو يهملها؛ لأنه يدعى أن الكتاب المقدس ليس كتاباً منزلاً من الله تعالى، ويعتقد أن الناس هم الذين ألقوا هذا الكتاب وهو يتهم مجهولة، إذن كيف من الممكن أن تشمل مفهوم النبي الذي في هذا الكتاب على كل الكتب السماوية، وحين ننتقل إلى انتقاداته الأخرى فإنه يعتقد التشابه بين الأنبياء وبين السياسيين والشعراء المعاصرين، وهذا يعد من باب المفارقة التاريخية ومقبول عند كل الباحثين أن هذا المنهج من أكبر الأخطاء في البحث العلمي في يومنا، ونجد نفس الشيء في تحليل باين عن تسمية مدينة "دان" في الكتاب المقدس وهو يقارنها مع تسمية المدن في زمانه^(٣٦). وفي الواقع أن الأنبياء يدعون الناس إلى نفس الطريق ولا يذبون بعضهم بعضاً.

﴿قُولُوا آمَنَّا بِاللهِ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْنَا وَمَا أُنْزِلَ إِلَى إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطِ وَمَا أُوتِيَ مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ وَمَا أُوتِيَ النَّبِيُّونَ مِنْ رَبِّهِمْ لَا تُفَرَّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْهُمْ وَتَحْنَ لَهُ مُسْلِمُونَ﴾ [البقرة: ١٣٦]

﴿وَإِذْ قَالَ عِيسَىٰ ابْنُ مَرْيَمَ يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ مُّصَدِّقاً لِمَا بَيْنَ يَدَيِّي مِنَ التُّورَةِ وَمُبَشِّرًا بِرَسُولٍ يَأْتِي مِنْ بَعْدِي اسْمُهُ أَحَمَّدٌ ۝ فَلَمَّا جَاءُهُمْ بِالْبُيُّنَاتِ قَالُوا هَذَا سِحْرٌ مُّبِينٌ﴾ [الصف: ٦]

كل هذه الآيات تدل على أن الأنبياء في الإسلام يصدقون بعضهم بعضاً.

ونستطيع أن نجد في كلام باين حكماً غير دقيق؛ لأن من الثابت علينا أن الكتاب المقدس قد تحرف^(٣٧)، وأخرجت عدة مفاهيم في الكتاب المقدس عن معانيها الحقيقة، من هنا يمكننا الاستنتاج بأن ذكر النبي ﷺ في الكتاب المقدس ليس كما يعتقد الكتاب المقدس نفسه.

وركز اهتمامه على سيدنا يونس عليه السلام في هذا الباب، وهو يعد أول عاصي من الأنبياء في نظره وكان يظن أن الله لا يجده، وركب في السفينة، ولكن ضربت العاصفة السفينة وأصحابها قرروا أن يرموا بعض الأشياء في البحر ففعلوا، ولكن على الرغم من هذا استمرت العاصفة وقد فهموا أنها إشارة من الله بأن بينهم عاصي، وأجرروا القرعة بينهم وفهموا من القرعة أن يونس هو العاصي، وعلى الرغم من هذا حاولوا أن يخلصوا يونس، ويدعوا الله أن لا يقتلهم بسبب هذا الرجل، وهذا يدل على وجود الناس الذين يؤمنون بالله من غير اليهود، وهذا غير موجود عند معتقدات اليهود؛ لأنهم يعتقدون أنه لا أحد يعبد إليها واحداً إلا اليهود، ثم ألقى أصحاب السفينة يونس في البحر، وحوت كبير ابتلعه وهو حي^(٣٨). **﴿وَبَيَاتٍ فِي بَطْنِ الْحَوْتِ ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ وَثَلَاثَ لَيَالٍ آمَنَا﴾** [ليونان، ١: ١٧] ودعا يونس ربه وفي النهاية قذفه إلى البر، وذهب إلى قومه، ولم يكن نادماً مما فعله، بل دخل مدينة نينوى وقال: **﴿يَعْدَ أَرْبَعِينَ يَوْمًا تَنْقِلِبِ نِينَوَى﴾** [ليونان، ٣: ٤]

المفهوم من هذه العبارة أنه كان يريد هلاك أهل هذه المدينة، ولكن هذا لم يحدث، وبالتالي غضب، وبحكمي لنا هذا: **﴿فَقَالَ اللَّهُ لِيُونَانَ: أَيْحُقُّ لَكَ أَنْ تَغْضِبَ مِنْ أَجْلِ الْيَقْظِينَ؟ فَأَجَابَ يُونَانُ: يَحْقُّ لِي أَنْ أَغْضِبَ إِلَى الْمَوْتِ﴾** فأشفقت الله عليه على اليقظينة التي لم تتعرف فيها ولا رأيتها، وإنما طلعت في ليلة ثم هلكت في ليلة، أفلأ أشفق أنا على نينوى العظيمة التي فيها أكثر من مئة وعشرين

ألف نسمة لا يعرفون يمينهم من شمالهم، فضلاً عن بهائم كثيرة» [سفر يونان، ٤: ١١-٩] بناءً على هذه العبارات في الكتاب المقدس يرى بابن أن قصة يونس ترفض أجزاء من الكتاب المقدس فتتحدث عن الظلم والقتل الذي جرى على بد الأنباء كلهم؛ لأن الله هو يرحم أكثر الناس في مدينة نينوى^(٣٩).

المبحث الثاني:

موقفه من العهد القديم.

ما تقدم يتضح لنا أن بابن يرى أن الوحي ليس من الله وأنه شعوذة أيضًا^(٤٠). وحاولنا تحت هذا المبحث إبراز موقفه من العهد القديم بالأمثل من كتاب عصر العقل، وناقشت نقه من خلال قواعد النقد خاصة، وقسمنا هذا المبحث إلى مطلبين: المطلب الأول نطرق إلى نقه الأدبي، وخصصنا المطلب الثاني لنقه التاريخي، والجدير بالذكر أن نقه عبارة عن النقد الأدبي والتاريخي للعهد القديم، ولم نصادف النقد العلمي للعهد القديم خلال دراستنا. قبل أن ندخل في الموضوع نريد أن نذكر بعض خصوصيات نقه، حيث إنه يعتمد على أسفار العهد القديم ويدرك كثيراً من الجمل من العهد القديم. ينتقد كتاب العهد القديم والأنباء الذين ذكروا في أسفاره، ويرى أنه لا يتميز بين حقيقة شخصيات الأنبياء ومظاهرهم في العهد القديم^(٤١). والذي لم يستخدم خلال نقه مصدراً خارجياً بسبب أن بعض الأشخاص يدعون أن العهد القديم أصلٍ تماماً، وكل هذا يشير إلى أنه مطلع على العهد القديم، ولكن مع ذلك يمكننا أن نجد أنه يستقي من كلام ابن عزرا وسينورا ويفيد هذا في كتابه، وهو يكشف طريقه في النقد، حيث إنه يرى نفسه مثل الرجل الذي يدخل في الغابة ويقطع أشجارها، ويدعى أن الأشجار لن تعرّس من جديد ولن تخصب، والمهم أنه لم يكتف بالكتاب المقدس في نقه، بل هاجم اليهود مباشرة، وبين صفاتهم الرذيلة^(٤٢). وهو يعتقد أن كتابه يفرح أذهان الناس ويخلصهم من رذائل الكتاب المقدس^(٤٣).

المطلب الأول: نقه الأدبي.

النقد الأدبي نقد يهتم بتحديد قيمة النص من جهة الأدب واللغة، والذي يركز على الكلمات والتعبيرات والأساليب الموجودة في النص، علاوة على ذلك يحتوى مجال النقد الأدبي عملية بحث في المصادر المستخدمة للنص لفهم كيف أخذ النص صورة نهائية، والجدير بالذكر يدرج نقد المصادر تحت النقد الأدبي أحياناً، تطور هذا النقد مع قرن عصر التوسيع في الغرب، وباختصار إن هذا النقد يحل النص من جهة الترتيب ومن جهة المضمون ومن جهة الحد والتعريف ومن جهة الأسلوب^(٤٤).

وفي هذه النقطة يقارن بابن بين الكتاب المقدس والكتب الكلاسيكية ويصل إلى بعض النتائج، إن كثيراً من المدافعين عن ثقة الكتاب المقدس يدعون أن تأليف الكتاب المقدس ألف أحسن من الكتب الكلاسيكية، وهذا دليل على أنه صادق ومنزل من الله، والمهم أن بابن يقارن الكتاب المقدس مع كتاب "أساس علم الهندسة" لإقليدس، وهو يفكّر أنه لو أننا لا ندرى من مؤلف هذا الكتاب لكان لنا مصدراً أساسياً في هذا المجال ونحن ثقّ به؛ لأنّه يحتوي المعلومات

التي ما زالت حاضرة، ولكن هذا لا يعني أن الكتاب المقدس هكذا؛ لأن بعض ما ذكر في الكتاب المقدس يرجع إلى شهادة شخصية، وتُفهم الأحداث غير الطبيعية التي ذكرت في الكتاب المقدس بإيمان، والثقة المطلقة هي شهادة الأشخاص فقط، وتوماس يذكر نقطة مهمة هنا ويقول إذا ما عرفنا بمؤلف كتاب كلاسيكي هذا لا يضرنا، ونحن نقيس قيمته بمحبوباته، ولكن إذا ثبت أن ما في العهد القديم لموسى عليه السلام ما بقي لنا إلا أن موسى عليه السلام هو المزور، ونرى أن بين يحلل محتويات الكتاب على أساس العقل، ونجد نفس المنهج في تحليله في المعجزات، والمقصود من المعجزات مثل شق موسى عليه السلام البحر، وهو لا يؤمن بهذه المعجزات؛ لأنه يلزم أدلة كثيرة من أجل الإيمان بها أكثر من ما يلزم الإيمان بالأشياء العادية^(٤٥).

ومع ذلك هو يقبل أن لكتاب المقدس لغةً وأسلوباً خاصاً، ويحكي موسى عن نفسه هكذا، ولكن في رأيه مضمون الكتاب ينفي الاحتمال أن يكون العهد القديم كتاب موسى عليه السلام، ويضرب المثال في هذه النقطة من العهد القديم: {وَمَا الرَّجُلُ مُوسَى فَكَانَ حَلِيمًا جَدًا أَكْثَرَ مِنْ جَمِيعِ النَّاسِ الَّذِينَ عَلَى وَجْهِ الْأَرْضِ} [سفر العدد: ١٢:٣]. وبالنسبة له من المستحيل أن النبي في كتابه يمدح نفسه ويثبت أنه ليس "حليماً جدًا أكثر من جميع الناس الذين على وجه الأرض" بل هو مت江北 جدًا أكثر من جميع الناس، فإذاً فموسى ليس كاتبًا لهذا الكتاب فهو لا يفيد الناس في أي مسألة، ولو عكسه لا أحد يؤمن به لأنه ليس حليماً في الحقيقة، وهو يستمر في كلامه بضرب المثال من العهد القديم، إذ إنه يرى أن الحقيقة اكتشفت أن كاتب هذا الكتاب ليس موسى عليه السلام؛ لأن ما دون مؤلف كتاب العهد القديم على أساس معين، وهو يُرى في كل صفحة من الكتاب، هو يكلم موسى متى يشاء ويتكلم عنه على حسب أهوائه، والذي يدعى أن قواعد اللغة في العهد القديم يُبرر للقارئ أنه ليس خالياً من الأخطاء، علاوة على ذلك فقد انتقد محتويات الكتاب؛ لأن العهد القديم مملوء بمناظر التوحش والظلم بالنسبة له، ومن أجل ذلك مستحيل أن يكون هذا الكتاب كتاب الله، فواجب على كل ربوبي أن يشجع عدالة الله وأخلاقه ضد هذه الحكايات في العهد القديم^(٤٦). والذي يرى أن المستحيل أن يكون الشخصنبياً وهو يستخدم صيغة الماضي مثل "وتبعهم إلى دار". ومن يدعى أنه النبي هو أحمق فقط^(٤٧).

والجدير بالذكر أنه يرى سفر أليوب وأليوب عليه السلام من جهة مختلفة؛ لأن هذا السفر لا يشتمل الشدة والقتل، بل هو يحتوي تفكير الإنسان وتدبره ومصير الإنسان والصبر، وهو يذكر احترامه لهذا السفر، ويعتقد أن هذا السفر ليس جزءاً من هذا الكتاب أصلاً، وتعتمد قناعته على كلام شارحين يهوديين هما ابن عزرا وسبينوزا، فكلاهما يعتقدان أن هذا السفر مختلف عن الأسفار الأخرى من جهة الأسلوب في تدوين الحوادث، وطرز الحكاية، وأصل لغته ليس العبرانية، بل الفَّ بلغة أخرى وانتقل إلى العبرانية، علاوة على ذلك هذا الكتاب يحكي عن فلسفة الطبيعة والكلمات التي تتعلق بها يونانية، ومن المعروف أن اليهود لا يعرفون شيئاً من علم الفلك، وهذا بدل على أنه مختلف عن الأسفار العبرانية تماماً، ولا توجد علاقة في المضمون بين سفر أليوب وأسفار أخرى في الكتاب المقدس^(٤٨).

ونرى أنه ينتقد مدوني هذا الكتاب من جهة مهمة، حيث إنهم جمعوا هذا الكتاب بتخلط الأسفار بعضها ببعض، وهذا وحده يستطيع أن يكون دليلاً على أنه ليس كتاب الله، ولا يوجد له أصل، علاوة على ذلك فهو يرى أن هؤلاء المدونين ما كتبوا بأنفسهم هذه الأسفار، بل جمعوا مضمون هذه الأسفار من المتنون القديمة من الأقوام المختلفة أو متون كتاب مجاهلين،

ومع ذلك زينوا في كل بداية الصفحات من الأسفار باسم الكنيسة وعيسي عليه السلام^(٤٩). ويستمر نقده في سفر المزامير، ويدرك أنه عبارة عن ثلاثة أقسام هي: القسم الأول الذي يتحدث عن الأخلاق، والقسم الثاني يحتوي عناصر حادة، ويتناول في القسم الثالث المعلومات فيما يتعلق باليهود، ولا يهتم به إلا اليهود أصلاً، وليس صحيحاً أن يقال إن هذه المزامير كلها ترجع إلى داود عليه السلام؛ لأن هذه المزامير ليست كلام داود بل تجمعت من عدة مؤلفات ودونت، حيث بعض المزامير تحكي لنا السبي البابلي، وهذا يصادف بعد أربعين سنة من وفاة داود عليه السلام، وهو ينقد الناس الذين يؤمنون بهذا الكتاب دون نقد المتن، وعدم اهتمامهم بالزمان والمكان في هذه المزامير^(٥٠).

وانه يعتقد أن هذا الكتاب مملوء بالكذب والسوء والكفر بالدين، وأقبح الفعل هو عطف الأفعال السيئة للإنسان على الله^(٥١). ويدرك عقيدة شعب الله المختار عند اليهود، ولكن هذا بالنسبة لبيان لا يعد من الحقيقة؛ لأن أنبياء شعب الله المختار كذابون ومزورون، ولذلك ليس من الممكن أن الله اختار هذا الشعب وصدق ما فعل هذا الشعب^(٥٢). وخلاص باب في النهاية إلى أن تحديد لغة العهد القديم مستحيل بسبب تنوع اللغات في الأسفار^(٥٣).

المطلب الثاني: نقده التاريخي.

من المعروف أن المؤرخ يعتمد على وثائق تاريخية، إذ إن التاريخ لا ينتقل إلا بطريقتين هما: المشاهدة، ودراسة الآثار، وهذه الآثار هي آثار مادية وآثار كتابية، ومن المعروف أن الآثار المادية تدرج تحت اختصاص الأركيولوجي، والآثار الكتابية تدخل في مجال المؤرخ، وهو يتبع المراحل الأساسية خلال دراسته وهي: تدوين الوثائق وتناولها بالفقد والتحقيق^(٥٤).

إن النقد التاريخي ينقسم إلى قسمين هما: النقد الخارجي، والنقد الداخلي، والنقد الخارجي يطلق على "نقد الصحة" أو "نقد التصحيح" ويعتمد على "نقد التصحيح" و"نقد المصدر"، والمقصود بنقد التصحيح تصحيح الأخطاء التي في الوثيقة التاريخية، والمقصود بنقد المصدر بحث المؤرخ في وثيقة فيها شك بصحتها، ويجتهد في تحديد كاتب الوثيقة ووقت تأليفها، علاوة على ذلك من الواجب عليه الأخذ بعين الاعتبار الحوادث التاريخية، وبهذا الطريق نصل إلى الكاتب الأصلي للنص، ونستطيع تحديد زمانه ومكانه، وتحت أي ظروف ألقه^(٥٥).

وأما النقد الداخلي فيسمى بنقد الصدق أيضاً، وهو يشتغل بفحوى الوثيقة، علاوة على ذلك يهتم بإدراك النص، وبحث نسبة النص إلى مؤلفه وصحته، والجدير بالذكر أن النقد الداخلي يحتوى "نقد التفسير" و"نقد الدقة والأمانة"، والمقصود بنقد التفسير جهود فهم المضمون وتحليله، وهذا النقد يحاول أن يحدد معنى الكلمة حرفيًا وحقيقة، وأما نقد الدقة والأمانة فيركز على احتمال أخطاء ووهم صاحب النص.^(٥٦) ويمكننا أن نجد النقد التاريخي عند بابن بكل أنواعه، ونحاول أن نشير إليه إن شاء الله تعالى.

إنه يركز على الأسفار الخمسة من العهد القديم، ويدرك أن العهد القديم ألف بعد قرون من وفاة موسى عليه السلام^(٥٧).

ويرى أن ليس من الممكن أن يكون كاتب هذا الكتاب هو موسى عليه السلام؛ لعدم وجود أي إشارة عندها تدل على أن كاتب هذا الكتاب موسى عليه السلام، حيث إن أسلوب الكتاب يشجع على هذه الفكرة فالذي يتكلم شخص آخر عن موسى عليه السلام، وتجري العبارات في الكتاب المقدس دائمًا هكذا "قال موسى ربه" "قال رب موسى".^(٥٨)

ويستدل على رأيه من العهد القديم: {وَدَعُوا اسْمَ الْمَدِينَةِ دَانَ بِاسْمِ دَانِ أَبِيهِمُ الَّذِي وُلِدَ لِإِسْرَائِيلَ، وَلَكِنَ اسْمَ الْمَدِينَةِ أُولَا لَا يَشُوَّهُ} [القضاة ١٨ : ٢٩، ٣٠]. ومن المعروف أن هذا الجزء وضع في العهد القديم بعد موت سامسون، بعد ثلاثة سنّة من وفاة موسى عليه السلام، إذ إن هذه المدينة أخذت هذا الاسم بعد وفاة موسى عليه السلام، وهذا يعني أن هذا الجزء لم يكتب على يد موسى عليه السلام.^(٥٩)

علاوة على ذلك يدقق احتمال أن يكون يشوع هو كاتب سفر يشوع في العهد القديم ويرى أنه مستحيل، وهو يستدل على أفكاره بآيات من العهد القديم، حيث تم تأليف هذا السفر بعد زمن طويل من وفاته، وفضلاً عن ذلك فإن هذا السفر يحتوي كثيراً من الحوادث التي ظهرت بعد وفاته، وأيضاً هذا السفر مملوء بالمظاهر السيئة ليشوع، وهو يضرب مثالاً آخر ليثبت صحة أفكاره من الكتاب المقدس حيث: {وَعَبَدَ بَنُو إِسْرَائِيلَ الرَّبَّ كُلَّ أَيَّامٍ يَشُوَّهُ، وَكُلَّ أَيَّامٍ الشُّيوخُ الَّذِينَ امْتَدَتْ حِيَاتُهُمْ إِلَى مَا بَعْدَ يَشُوَّهَ وَالَّذِينَ عَرَفُوا كُلَّ مَا صَنَعَ الرَّبُّ لِإِسْرَائِيلَ} [سفر يشوع ٤ : ٣١]، بعد ذكر هذا يسأل هل من الممكن أن يعرف الشخص شيئاً بعد وفاته؟ إذن هذا يدل على أن يشوع ليس كاتب هذا السفر.

وبينقد ببين وجود تاريخ اليهود الخاص في الكتاب المقدس؛ لأن هذه الحوادث الخاصة مهمة عند اليهود فقط، فلماذا الأقوام المختلفة ذكرت فيها، وعلى الرغم من ذكر الحوادث التاريخية في الكتاب المقدس فقد وجدت عدة أخطاء بارزة فيها، وسفر يشوع يحتوي كثيراً من الأمثلة في هذا الصدد، إذ إن كاتب هذا السفر يسجل أسماء العائلات ويدرك عدد كل عائلة، ولكن في النهاية يصل إلى نتيجة خاطئة للمجموع. [سفر عزرا ٢ : ٦٤-٣] ومن أجل ذلك يسرد ببين أن الكتاب المقدس لا يستطيع أن يكون مصدراً موثقاً في أي مسألة.^(٦٠) كل ما سبق يشير لنا أن نقده مطابق لمنهج النقد التاريخي.

خاتمة.

وفيها أهم نتائج البحث، والتوصيات:

توصل الباحثان من خلال ما سبق إلى النتائج الآتية:

- اتبع ببين عزرا وسبينوزا في نقد العهد القديم، واستفاد منها في اختيار المسائل والمناهج، حيث اهتم بالنقد الأدبي والتاريخي كما فعل سبينوزا.
 - أكد هذا البحث أن من أكبر الأخطاء في منهج ببين تعميم الكتب السماوية مثل القرآن الكريم.
 - يعتمد نقد إمكان الوحي والنبوة على معتقداته، خلافاً للدليل أو المرجع العلمي أحياناً.
- وتوصي هذه الدراسة بالاهتمام بنقد الربوبيين لكتاب المقدس والقرآن الكريم؛ لإظهار منهجهم في نقدهم للكتب المنزلة.

الهوامش.

- (١) أرجح إبراهيم عبد الرحمن الحوامدة، حركة نقد الكتاب المقدس في أوروبا من عصر النهضة إلى العصر الحديث و موقف الكنيسة منها، عمان، رسالة ماجستير، جامعة العلوم الإسلامية والعالمية، ٢٠١٧م، ص ٣٣.
- (٢) حافا لازاروس يافيه، الإسلام ونقد العهد القديم في العصر الوسيط، ترجمة: محمد طه عبد الحميد، القاهرة، مركز الدراسات الشرقية جامعة القاهرة، ٢٠٠٧م، ص ١٥-١٦.
- (٣) الحوامدة، حركة نقد الكتاب المقدس في أوروبا من عصر النهضة إلى العصر الحديث و موقف الكنيسة منها، ص ٤١، ٣٨، ٤٤.
- (٤) جوزيف نسيم يوسف، نشأة الجامعات في العصور الوسطى، بيروت، دار النهضة العربية، ١٩٨١م، ص ٢٤٢.
- (٥) Yasin Meral, Spinoza'nın Teolojik-Politik İncelemesi'nde Tanah Eleştirisi, *Mukaddime Dergisi*, İstanbul, 6(1), 2015, s.27-28.
- (٦) Yasin Meral, Tevrat Tenkit Geleneğinin Öncüsü: İbn Hazm mı Spinoza mı? *Diyonet İlmi Dergi*, Ankara, 50/4, 2014, s.78-80.
- (٧) الحوامدة، حركة نقد الكتاب المقدس في أوروبا، من عصر النهضة إلى العصر الحديث و موقف الكنيسة منها، ص ٩٨، ١٠٤.
- (٨) عز الدين اعليو، النقد الكتباني الأبي بين الكتاب المقدس والقرآن الكريم، مؤسسة مقاريات للنشر والصناعات الثقافية واستراتيجيات التواصل، ص ٢٧. شرف حامد سالم، نقد العهد القديم، مكتبة مدبلوي، القاهرة، ٢٠١٠م، ص ٢١٤.
- (٩) يوسف كلام، تاريخ وعقائد الكتاب المقدس بين إشكالية التفتيش والتقديس دراسة في التاريخ النفي لكتاب المقدس في الغرب المسيحي، دار صفحات للدراسات والنشر، دمشق، ٢٠٠٩م، ص ٥٠.
- (١٠) المصدر السابق، ص ٥٥-٥٥.
- (١١) المصدر السابق، ص ٢٢٠.
- (١٢) الحوامدة، حركة نقد الكتاب المقدس في أوروبا من عصر النهضة إلى العصر الحديث و موقف الكنيسة منها، ص ١٢٠.
- موريس. ب.، التوراة والإنجيل والقرآن العلم. ترجمة: حسن خالد، المكتب الإسلامي، ١٩٩٠، بيروت، ص ٤٤.
- (١٣) Thomas Paine, *Akıl Çağı*, çev: Ali İhsan Dalgıç, Türkiye İş Bankası Kültür Yayınları, İstanbul, 1. Baskı, 2014, s. 70.
- (١٤) Cherbury, Lord Herbert. *De Veritate*, University of Bristol, J.W. Arrowsmith, 1937, p. 81.
- (١٥) المصدر السابق، ص ٥.
- (١٦) Adnan Bülent Baloğlu, *Lord Herbert'in İdeal Dini, Spinoza'nın Evrensel Dini, Neoliberalizmin Küresel Dini*, Deizm Sayısı Doğu Batı Yayınları, Ankara, 2020, s.19., Meryem Kardaş, *Deizmin İncilinde Tanrı ve Din Tasavvuru*, Din Karşıtı Çağdaş Akımlar ve Deizm, Ensar Neşriyat, Van, 2017, s. 22.
- (١٧) Paine, *Akıl Çağı*, s.29.
- (١٨) Hudson, Wayne. *The English Deists Studies In Early Enlightenment*. Pickering&Chatto, London, 2009., Johnson, Bob. *Deism A Revolution in Religion, A Revolution in You*, World Union of Deists, California, 2009.
- (١٩) المصدر السابق، ص ٦-٥.
- (٢٠) المصدر السابق، ص ٧-٨.

- (٢١) المصدر السابق، ص ١٦٤-١٦٥.
- (22) Fatma Yüce, **Deizmden Teizme Tanrı-Din-İnsan**, Elis Yayınları, Ankara 2021, s. 157.
- (23) Paine, **Akıl Çağı**, 168-169.
- (٢٤) المصدر السابق، ص ١٣٢-١٣٣.
- (25) Yüce, **Deizmden Teizme, Tanrı- Din-İnsan**, s. 264-265, 268.
- (26) Paine, **Akıl Çağı**, s.27.
- (٢٧) المصدر السابق، ص ٤.
- (٢٨) عبد الصبور شاهين، **تاريخ القرآن**، نهضة مصر، القاهرة ٢٠٠٧، ص ٣٣-٣٤.
- (٢٩) مأمون غريب، **أصحاب الرسول ﷺ من الأعاجم**، دار الهدى للكتاب، القاهرة، ص ١٦.
- (٣٠) محمد بن فارس جميل، **الهجرة إلى الحبشة-دراسة مقارنة للروايات**-، دار الفيصل التقافي، الرياض، ٢٠٠٤، ص ٢٧-٢٨.
- (٣١) عبد الوهاب عبد السلام الطويلة، محمد أمين شاكر حلاني، **عالمية الإسلام ورسائل النبي إلى الملوك والأمراء**، دار القلم، دمشق، ص ٨٧.
- (32) Paine, **Akıl Çağı**, s. 28-29.
- (33) Yüce, **Deizmden Teizme Tanrı-Din-İnsan**, s. 175
- (34) Paine, **Akıl Çağı**, s.122-123.
- (٣٥) المصدر السابق، ص ١٢٣-١٢٤.
- (٣٦) المصدر السابق، ص ٨٠-٨١.
- (٣٧) ربیع، یحیی محمد علی. **الكتاب المقدس بين الصحة والتحريف**، دار الوفاء للطباعة والنشر والتوزيع. المنصورة، ١٩٩٤، ص ٧٣، ٧٠، ١٤٩.
- (38) Paine, **Akıl Çağı**, s.130.
- (٣٩) المصدر السابق، ص ١٣٢.
- (٤٠) المصدر السابق، ص ٥٧.
- (٤١) المصدر السابق، ص ١١٠.
- (٤٢) المصدر السابق، ص ١٠٨.
- (٤٣) المصدر السابق، ص ٩٥.
- (٤٤) سالم، **نقد العهد القديم**، ص ٢١٣-٢١٦.
- (45) Paine, **Akıl Çağı**, s. 73-74.
- (٤٦) المصدر السابق، ص ٧٧-٧٨.
- (٤٧) المصدر السابق، ص ٨٦.
- (٤٨) المصدر السابق، ص ١٠٦، ١٠٨.
- (٤٩) المصدر السابق، ص ١١٢-١١٣.
- (٥٠) المصدر السابق، ص ١٠٩-١١٠.

- (٥١) المصدر السابق، ص ٨٦.
- (٥٢) المصدر السابق، ص ٩٧.
- (٥٣) المصدر السابق، ص ١٢٩.
- (٥٤) الكلام، تاريخ وعقائد الكتاب المقدس بين إشكالية التفتيش والتقدیس، ص ٥٠-٥١.
- (٥٥) Paine, Akıl Çağı, s. 52-54.
- (٥٦) المصدر السابق، ص ٥٩.
- (٥٧) المصدر السابق، ص ٧٥.
- (٥٨) المصدر السابق، ص ٧٦.
- (٥٩) المصدر السابق، ص ٨٢.
- (٦٠) المصدر السابق، ص ١٠٥-١٠٦.

المراجع.

أولاً: المراجع العربية:

- اعليلو، عز الدين. *النقد الكتابي الأدبي بين الكتاب المقدس والقرآن الكريم*. مؤسسة مقاريات للنشر والصناعات الثقافية واستراتيجيات التواصل.
- ب، موريس. *التوراة والإنجيل والقرآن العلم*. ترجمة: حسن خالد، المكتب الإسلامي، بيروت، ١٩٩٠م.
- جميل، محمد بن فارس. *الهجرة إلى الحبشة دراسة مقارنة للروايات*. دار الفيصل الثقافي، الرياض، ٢٠٠٤م.
- الحوامدة، أريج إبراهيم عبد الرحمن. *حركة نقد الكتاب المقدس في أوروبا من عصر النهضة إلى العصر الحديث وموقف الكنيسة منها*. عمان، رسالة ماجستير، جامعة العلوم الإسلامية والعالمية، ٢٠١٧م.
- رباع، يحيى محمد علي. *الكتاب المقدس بين الصحة والتحريف*. دار الوفاء للطباعة والنشر والتوزيع، المنصورة، ١٩٩٤م.
- سالم، شرف حامد. *نقد العهد القديم*. مكتبة مدبولي، القاهرة، ٢٠١٠م.
- شاهين، عبد الصبور. *تاريخ القرآن*. نهضة مصر، القاهرة، ٢٠٠٧م.
- غريب، مأمون. *أصحاب الرسول ﷺ من الأعلام*. دار الهدى للكتاب، القاهرة.
- الطويلة، عبد الوهاب عبد السلام. محمد أمين شاكر حلاني، *عالمية الإسلام ورسائل النبي إلى الملوك والأمراء*. دار القلم، دمشق.
- كلام، يوسف. *تاريخ وعقائد الكتاب المقدس بين إشكالية التفتيش والتقدیس دراسة في التاريخ النبوي للكتاب المقدس في الغرب المسيحي*. دار صفحات للدراسات والنشر، دمشق، ٢٠٠٩م.
- يافيه، حafa لازاروس. *الإسلام ونقد العهد القديم في العصر الوسيط*. ترجمة: محمد طه عبد الحميد، مركز الدراسات الشرقية جامعة القاهرة، القاهرة، ٢٠٠٧م.
- يوسف، جوزيف نسيم. *نشأة الجامعات في العصور الوسطى*. دار النهضة العربية، بيروت، ١٩٨١م.

ثانياً: المراجع الأجنبية:

- Baloğlu, Adnan Bülent. **Lord Herbert'in İdeal Dini, Spinoza'nın Evrensel Dini, Neoliberalizmin Küresel Dini.** Deizm Sayısı Doğu Batı Yayıncıları, Ankara, 2020.
- Cherbury, Lord Herbert. **De Veritate**, University of Bristol, J.W. Arrowsmith, 1937.
- Hudson, Wayne. **The English Deists Studies In Early Enlightenment.** Pickering&Chatto, London, 2009.
- Johson, Bob. **Deism A Revolution in Religion, A Revolution in You.** World Union of Deists, California, 2009.
- Kardaş, Meryem. **Deizmin İncilinde Tanrı ve Din Tasavvuru.** Din Karşılıtı Çağdaş Akımlar ve Deizm, Ensar Neşriyat, Van, 2017.
- Meral, Yasin. Spinoza'nın Teolojik-Politik İncelemesi'nde Tanah Eleştirisi. **Mukaddime Dergisi**, İstanbul, 6(1), 2015, s.27-28
- Meral,Yasin. Tevrat Tenkit Geleneğinin Öncüsü: İbn Hazm mı Spinoza mı?. **Diyonet İlimi Dergi**,Ankara, 50/4, 2014, s.78-80.
- Paine, Thomas. **Akul Çağı.** çev: Ali İhsan Dalgıç, Türkiye İş Bankası Kültür Yayınları, İstanbul, 1. Baskı, 2014.
- Yüce, Fatma. **Deizmden Teizme Tanrı-Din-İnsan.** Elis Yayıncıları, Ankara 2021.

Rwmnh al-marāji‘:

- A'lylw 'Izz al-Dīn, al-Naqd al-kitābī al-Adabī Bayna al-Kitāb al-Muqaddas wa-al-Qur'ān al-Karīm, Mu'assasat muqārabāt lil-Nashr wa al-Šinā'āt al-Thaqāfiyah wa Istirāṭīyāt al-tawāṣul.
- B. Mwrs, Altwrh wa-al-Injīl wa-al-Qur'ān al-'Ilm. tarjamat: Ḥasan Khālid, al-Maktab al-Islāmī, Bayrūt, 1990M.
- Jamīl, Muḥammad ibn Fāris. al-Hijrah ilá al-hibsh̄-drāsh̄ muqāranah llrwāyāt-. Dār al-Fayṣal al-Thaqāfi, al-Riyād, 2004M.
- Al-Ḥawāmidah, Arīj Ibrāhīm 'Abd al-Rahmān. Ḥarakat Naqd al-Kitāb al-Muqaddas fī Ūrūbbā min 'aṣr al-Nahḍah ilá al-'aṣr al-ḥadīth wa Mawqif al-Kanīṣah minhā. Risālat mājistir, Jāmi‘at al-'Ulūm al-Islāmīyah wa al-'Ālamīyah, 'Ammān, 2017M.
- Sālim, Sharaf Ḥāmid. Naqd al-'ahd al-qadīm. Maktabat Madbūlī, al-Qāhirah, 2010M.
- Shāhīn, 'Abd al-Šabūr. Tārīkh al-Qur'ān. Nahḍat Miṣr, al-Qāhirah, 2007M.
- Gharīb, Ma'mūn. ašhāb al-Rasūl-ṣlā Allāh 'alayhi wṣlīm-min al-'ājm. Dār al-Hudā lil-Kitāb, al-Qāhirah.
- Al-Tawīlah, 'Abd al-Wahhāb 'Abd al-Salām. Muḥammad Amīn Shākir Ḥalawānī, 'ālamīyah al-Islām wa-rasā'il al-Nabī ilá al-mulūk wa-al-umarā', Dār al-Qalam, Dimashq.
- Kalām, Yūsuf. Tārīkh wa-'aqā'id al-Kitāb al-Muqaddas bayna Ishkālīyat al-taftīsh wa al-taqdīs dirāsah fī al-tārīkh al-naqdī lil-Kitāb al-Muqaddas fī al-Gharb al-Masīḥī. Dār Ṣafāḥāt lil-Dirāsāt wa al-Nashr, Dimashq.

2009M.

- Yāfyh, hāfā lāzārws. al-Islām wa-naqd al-‘ahd al-qadīm fī al-‘aṣr al-Wasīṭ. tarjamat: Muḥammad Tāhā ‘Abd al-Ḥamīd, al-Qāhirah, Markaz al-Dirāsāt al-Sharqīyah Jāmi‘at al-Qāhirah, al-Qāhirah, 2007M.
- Yūsuf, Jūzīf Nasīm. Nash’at al-jāmi‘āt fī al-‘uṣūr al-Wusṭā. Dār al-Nahḍah al-‘Arabīyah, Bayrūt, 1981M.